ISSUE 4 August 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

لجنةُ الرّعايةِ في قيادةِ ورغمّةَ بالجنوبِ التّونسيّ: سلاحٌ في وجهِ الخصومِ 1955-1956

د. فيصل جميل[1].

تاريخ الاستلام: 29/06/2025م | تاريخ القبول: 06/07/2025م | تاريخ النشر: 13/09/2025م | DOI: https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4.xxx

الملخص:

يدرس مقالنا هذا في البداية ظروف تشكيل لجان الرعاية في تونس، وشرعنة عملها من قبل الحكومة إلى جانب علاقتها بالديوان السياسي للحزب، ثمّ يمرّ لدراسة لجنة الرعاية في قيادة ورغمّة التي قد تزعّمها المقاوم مصباح الجربوع بتكليف رسمي من الحكومة التونسية، ومن هناك يغوص مقالنا في إظهار الأدوار التي لعبتها هذه التنظيمات المسلحة بأمر من الديوان السياسي للحزب، كما يتطرق إلى شكل هذه اللجان التنظيمي وتسليحها وعلاقة زعيمها مصباح الجربوع بالقيادة العسكرية الفرنسية بالجنوب والسلطات الجهوية التونسية، وإلى جانب ذلك يعرض عملنا أبرز المحطات التي مرّت بها هذه اللجان والأعمال المنوطة بعهدتها كملاحقة الخصوم اليوسفيين، وتأمين نشاطات بورقيبة والحزب بالجهة، ويستعرض من حين إلى آخر بعض الأحداث المهمّة التي ارتبطت بتحركاتها، التي تراوحت بين اللين أحيانا تجاه الخصوم والعنف أحيانا أخرى. ويختتم مقالنا حديثه عن هذه اللجان بالتطرق إلى موقف الأهالي منها وتشكياتهم لدى الباي، ثمّ ظروف حلّها ومآل أعضائها.

الكلمات المفاتيح: مصباح الجربوع، الديوان السياسي، اليوسفيون، الحبيب بورقيبة.

1.أستاذ تاريخ معاصر بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بمدنين - جامعة قابس – الجمهورية التونسية.

المؤلف الرئيسي: د. فيصل جميل ، faycaljemil1990@gmail.com

ISSUE 4 AUGUST 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

The Welfare Committee in the Leadership of Ouerghema, Southern Tunisia : A Weapon Against Rivals (1955–1956)

* [1]Dr. Faycal jemil.

Abstract:

This article initially examines the context in which the Care Committees were established in Tunisia, their official legitimization by the government, and their relationship with the party's Political Bureau. It subsequently focuses on the Care Committee in Qiyada and Ragma, which was led by the resistance figure Msabah al-Jarbou' under a formal mandate from the Tunisian authorities. The study then explores the roles played by these armed formations, acting under directives from the Political Bureau, and analyzes their organizational structure, modes of armament, and the nature of al-Jarbou"s interactions with both the French military leadership in the south and the regional Tunisian administration. Furthermore, the article outlines the key phases in the evolution of these committees and the responsibilities entrusted to them, including the pursuit of Youssefist opponents and the provision of security for Bourguiba's and the party's activities in the region. Select episodes linked to their operations are also discussed, highlighting a spectrum of actions that oscillated between leniency and violence. The article concludes by addressing local perceptions of these committees, the grievances submitted to the Bey, and the circumstances surrounding their dissolution and the eventual fate of their members.

Keywords: Msabah al-Jarbou', Political Bureau, Youssefists, Habib Bourguiba.

1.Professor of Contemporary History, Higher Institute of Human Sciences in Médenine – University of Gabes – Republic of Tunisia.

* corresponding author: **Dr. Fayçal Jamil,** faycaljemil1990@gmail.com.

Copyright©C2024University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens.

مقدمة:

توّجت المفاوضات بين حكومتي تونس وباريس بتوقيع معاهدة الاستقلال الداخلي لتونس يوم 3 جوان 1955، وإلى ساعة توقيع البروتوكول ظنّ الشعب التونسي أنّ قادته متفقون بإجماع على هذه الخطوة التي كان العديد يراها دون قدر التضحيات التي قدمها المجاهدون. ومع عودة المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة يوم 1 جوان 1955 والزعيم الكبير صالح بن يوسف إلى تونس يوم 13 سبتمبر 1955، بدأ اختلاف الرؤى يتحول شيئا فشيئا إلى صراع لا يبشر بالانتهاء قريبا. فإن رأى بورقيبة اتفاقيات 3 جوان 1955 خطوة إلى الأمام فقد رآها رفيقه بن يوسف خطوة إلى الوراء وقاعدة للحماية أكثر صلابة من اتفاقية باردو 1881.

اشتدّ الصراع بعد طرد صالح بن يوسف من الحزب وتجريده من الأمانة العامّة التي تمسّك بها وأعلنها حزبا جديدا في البلاد. وفي خضم هذا التوتر شكّل الديوان السياسي لجانًا مسلّحة أعطتها حكومة بن عمّار الشرعية الكاملة لملاحقة خصومه اليوسفيين وتأمين أنشطة بورقيبة وزياراته في أنحاء البلاد، وفي هذا الإطار ولدت لجنة الرعاية في أقصى الجنوب التونسي وبالتحديد في قيادة ورغمة، وعلى الرغم من تطرق عديد الباحثين لنشاطات هذه اللجان وأعمالها بصفة عامة شأن الأستاذ فيصل المقدم، فإنهم حقيقة قد أغفلوا الحديث جيدا عن لجنة الرعاية في قيادة ورغمة وهي اللجنة التي رافقت أحداث مهمة من تاريخ الصراع اليوسفي البورقيبي وأكثر اللجان امتدادا من حيث المجال.

وحتى يتسنى لنا الإلمام بموضوع بحثنا جيدا طرحنا عدد من التساؤلات بهدف الإجابة عنها وهي تباعا:

-ما الظروف التي تمّ فيها بعث لجنة الرعاية بقيادة ورغمة؟ وهل من غطاء قانوني شرّع لها ؟

-هل وجهت اللجنة سلاحها ضدّ المعارضين اليوسفيين ؟

-هل يمكن الإقرار بما ينقل حولها حتى يومنا هذا من انتهاكات وتجاوزات في حق الأهالي في المنطقة؟

1.بعث لجان الرعاية:

1.1.الدو افع المعلنة والشرعية القانونية:

منذ عودة الزعيم الحبيب بورقيبة إلى أرض الوطن يوم 1 جوان 1955 بدأت لجان من قدماء المقاومين في التشكل لضبط الأمن أثناء الاجتماعات والتظاهرات وحماية قادة الحركة الوطنية وزعمائها. لكن يبدو أنه بعد مؤتمر صفاقس الذي انعقد في نوفمبر 1955، بدأت هذه اللجان تنشط تحت مسمى (لجان الرعاية) أو «مجالس التيقظ» مثلما وردت في الرائد الرسمي (الرائد الرسمي في 27/04/1956)، وكانت هذه اللجان توجّه عن طريق الديوان السياسي ووزارة الداخلية، ثمّ أعطيت الصبغة القانونية بقرار من الوزير الأكبر الطاهر بن عمار مؤرخ في 31 مارس 1956. ويذكر قائد لجنة الرعايا في منطقة الأعراض القائد الساسي لسود أن مهمّة هذه اللجان كانت « تهفيت الجو» واستحباب الناس (شهادة القائد الساسي الأسود المسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية).

كما أثنت الصحف الموالية لبورقيبة على هذه اللجان وأدوارها النبيلة كما جاء في صحيفة العمل "**تكوّنت لجان رعاية بالحاضرة وبعدّة مدن داخل المملكة؛ لتدعيم عمل البوليس في مجابهة النشاط الإرهابي بالمدن والبوادي، وهذه اللجان تعمل تحت سلطة وزارة الداخلية باتصال وثيق مع البوليس في المدن، وتشارك في البوادي في عمليات تقوم بها وحدات المخزن المتجوّل، وقد وضعت وزارة الداخلية بالاتفاق مع المندوبية السامية التراتيب الخاصة لنشاط هذه الهيئات وصيغ الحالات التي تقتضي التعاون بين السلط التونسية والسلط الفرنسية**". (جريدة العمل بتاريخ 3 مارس 1956.).

1.2.سلاح ضدّ الخصوم:

بالعودة إلى شهادات عدد من ضحايا هذه اللجان وشكاوى الأهالي إلى الباي (الأرشيف الوطني . السلسلة (F) صندوق 1. ملف 1. الملف الفرعي 35 . وثيقة 177.) نتبيّن أن هذه اللجان لم تكن تسير حسب الأهداف السامية التي ذكرتها السلط عند بعثها، فهذه اللجان ضدّ خصوم الديوان السياسي وشملت المدنيين العزل، وقد كانت موجّهة صـوب قادة وأنصار الأمانـة العامّة المحظورة. (الصغير 2007، ص 53.) فمن البيّن أن اليوسفيين كانوا أول ضحايا هذه اللجان، إذ لم يدخروا جهدا في ترويعهم والتنكيل بهم؛ وهو ما دفع بزعيمهم صالح بن يوسف إلى عقد ندوة صحفية يوم 4 نوفمبر 1955 تحدّث فيها عن التجاوزات التي ارتكبتها هذه اللجان قائلا : "...**إنّي أتّهم صراحة الديوان السياسي بإعداد عصابات مسلّحة تضمّ رجالا لا وازع لهم ولا ضمير لهم دفعت لهم مبالغ طائلة، عادوا اليوم من جديد ليفرضوا إرهابهم على الرأي العام... إنّ هذه العصابات المسلّحة اليوم بمساعدة أعضاء الحكومة الدستوريين المتواطئين معها في مأمن من كل التتبّعات ...**"(جريدة الصباح بتاريخ 5 نوفمبر 1955). الموقف ذاته اتخذته الصحف الموالية للأمانة العامّة إذ نجد على أعمدة صحيفة «صدى الزيتونة « بتاريخ 2 جانفي 1956 مقال يقول " **أرواح تزهق في كل يوم وحريّات تقيّد و أفكار تخنق بالطرق التي كان يستعملها المستعمر قبل هذا العهد النحيس** ".

ضيّقت هذه اللجان الخناق كثيرا على أتباع الأمانة العامة وعائلاتهم وأصبحت أذرعها مطلوقة تشتكي منها حتى بعض الإدارات المحلية حيث تراها قد تجاوزت صلاحياتها، كما صارت هذه اللجان تراقب حركة السكان؛ درءا لأي تحركات مشبوهة حسب زعمها ويذكر بعض المقاومين أن هذه اللجان في الجنوب تجبر أي عابر بجانب حواجزها على ذكر بعض العبارات التي تؤكد تنصله من الأمانة العامـة وعدم الانتماء إليها، فليس بمقدوره أن يمرّ بجانبهم قبل أن يقول هذا القسم الطريف نوعا ما "**لاني (لست) من الأمانة العامة ولاني يوسفي . يطيح فيا بورقيبة والديوان التونسي** ". كما صارت تمارس ضغوطاتها على من يشغل أحد مقاومي جيش التحرير أو حتى أفراد عائلاتهم بل إنّ الأمر وصل أحيانا إلى ممارسة الضغوطات على التجّار ومنعهم من البيع لهاته العائلات. (شهادات مختلفة من عدد من أنصار الأمانة العامة على هامش «ملتقى الوفاء للشهيد صالح بن يوسف» المنتظم أيام 09-10-11 أوت

2014 بجربة).

أنشأت هذه اللجان ما يشبه المعتقلات، أين يتمّ إيقاف المعارضين ومن هذه المراكز ذاع صيت مركز بني خلّاد الذي قام ببعثه عمر شاشية فترة ترؤسه لجامعة سليمان الدستورية، وهذا المركز في زاوية سيدي بن عيسى ببني خلّاد، كذا الشأن مع معتقل صبّاط الظلام الواقع في مدينة تونس العتيقة الذي أسّس على يد الشيخ حسن العيادي، ففي البداية كان مكان الاعتقال أولا في صبّاط الظلام ومن ثمّة يحال الموقوفون إلى معتقل بني خلاد تحت إشراف عمر شاشية وفق تصريحات حسن العيادي التي نفاها عمر شاشية قائلا إنه لم يكن على علاقة وتعاون مع حسن العيادي ، بل كان في علاقة مباشرة مع الطيب المهيري ومنه يأخذ الأوامر.(المقدم 2010. ص 77.)

2.تشكيل لجنة الرعاية بأرض ورغمّة:

في خريف سنة 1955 صدر عن مصلحة الوجق والمخزن والجندرمة أمر إداري بتعيين عدد من قادة المقاومة على رأس قوات من الأمن سموا بـ «الإضافيين». وقد عيّن القائد مصباح الجربوع على رأس قوّة الإضافيين في أعمال مدنين وتطاوين وجربة، فيما عيّن الساسي الأسود في عمل الأعراض ونفزاوة، وقد كان مصباح حسب الأمر الإداري تحت إمرة المقدم محمد الكافي، ومنه يأخذ التوجيهات وشأنه في ذلك شأن باقي قادة قوات "الإضافيين" .(أرشيف عائلة مصباح الجربوع) وقد عملت قوات الإضافيين بشكل مؤقت قبل أن تحوّلها الحكومة إلى لجان رعاية.

كان الحبيب بورقيبة يصف المكلّفين بتشكيل مجموعات لجان الرعاية بأنهم وطنيون وهدفهم حماية الوطن من الإرهاب، فكان الاختيار يقع على زعماء المقاومة المسلحة في ثورة 18 جانفي 1952 الذين انحاز أغلبهم إلى بورقيبة، ففي هذا الإطار كلّف مصباح الجربوع في جهة الجنوب الشرقي بتشكيل لجنة رعاية والإشراف عليها، فاختار حسب ما يبيّنه تقرير عسكري فرنسي صادر عن قيادة جيش الجنوب، من بين قدماء المقاومين والشبيبة الدستورية 40 رجلا مسلحا (20 منهم في مدنين و20 في تطاوين). (SHAT, Bobine 505, C2H 312, d1, f387. Rap-port de générale Guillebon pour la période 10/03/1956—25/03/1956.) وهو العدد الذي رفعه تقرير عسكري آخر صادر عن الاستعلامات الفرنسية ليصبح 45 رجلا، ويذكر هذا التقرير أكثر تفاصيل عن عملية تشكيل اللجنة التي حدثت مباشرة بعد عودة مصباح الجربوع وعبد الرحمان بوعواجة من العاصمة في 22 فيفري 1956، وقد وزّعت المجموعة على 4 مراكز تمّ إحداثها بحساب حوالي 10 عناصر لكل مركز باستثناء بني خداش التي خصّت بـ 15 عنصرا. (CADN . 46 TU 900/920 N 60/CF du 23/02/1956.)

وكانت هذه المجموعة لا تمتلك لباسا موحدا في مجملها بل تعمل بأزيائها العادية المدنية، حيث كان هناك تباين واضح في أزيائها وفهم من حافظ على الزي الذي ارتداه في فترة المقاومة وقد جاء على أعمدة صحيفة العمل في هذا الخصوص أنه "... **تمّ الاتفاق بين وزارة الداخلية والمندوبية السامية على تسليح عدد كبير من أعضاء الشبيبة الدستورية ومنحهم بطاقات رسمية، تخوّل لهم حق المساهمة بصفة شرعية في حفظ الأمن بالمدن**

والقرى، ما استفدنا أنه تمّ الاتفاق من جهة أخرى على تعزيز قوات الحرس الوطني المتجول بعدد كبير من قدماء المقاومين، الذين سيلبسون الزي والملاحظ أن الشبان الدستوريين الذين سيتولون حفظ الأمن بالمدن سوف لا يرتدون زيّا عسكريا بل سيعملون باللباس المدني..." (صحيفة العمل بتاريخ 22 فيفري 1956.) أمّا الأسلحة فقد بيّن تقرير الاستعلامات الفرنسية أن مصباح الجربوع قد تعهّد لدى تكوين اللجنة بأن يسلحهم بنفسه،(. CADN 46 TU 900/920 N 60/CF du 23/02/1956.) ويبدو حسب ما توفر من معطيات أن تسليحهم لم يكن مختلفا عن باقي لجان الرعاية فقد كانوا يمتلكون بنادق إلى جانب بعض الهراوات والسكاكين.

سلّمت لمصباح الجربوع سيارة لتيسّر له التنقل وأداء مهامه على رأس هذه اللجنة، شأن كل زعماء اللجان، حيث قدّمت لهم سيارات من نوع تراكسيون وعادة ما كان يكتب على هذه السيارة اسم اللواء الذي تتبعه. (Borsali,**Bourguiba à l'épreuve de la démocratie 1956-1963**, , 2008, p107) وقد كان مصباح يتنقل بهذه السيارة بشكل يومي تقريبا بين مدنين وبني خداش خاصة، فيما كان يزور باقي المدن الراجعة إليه بالنظر بأقل درجة.

فيما يخص أجور عناصر لجان الرعاية فقد أشار أمر على مؤرخ في 26 أفريل 1956 نشر بالرائد الرسمي للمملكة التونسية بتاريخ 27 أفريل 1956، إلى إجبارية توفير منح لأعضاء هذه اللجان من قبل مجالس الأعمال وبلدية الحاضرة. واعتبر الأمر أن مستحقات هذه اللجان تنطلق بمفعول رجعي أي بتاريخ 1 فيفري 1956.(الرائد الرسمي للجمهورية التونسية عدد 34 بتاريخ 27 افريل 1956.) وبذلك أسند لعناصر لجان الرعاية راتبا شهريّا بقيمة 20 ألف فرنك.(موسى ، **أضواء على الحركة اليوسفية بجهة تطاوين 1956-1955**، 2018، ص 116.) وعلى الرغم من هذا فقد كان بعض زعمائهم شأن الشيخ حسين العيادي يمتهنون الابتزاز والسلب لضحاياهم. (المقدم **لجان الرعاية في تونس نشأتها ونشاطها 1956-1955** ... ص 75.) فيما لم ينقل عن مصباح الجربوع وعناصره أيّ عملية ابتزاز أو سلب قاموا بها للأهالي أو الموقوفين.

كانت علاقة مصباح الجربوع متوتّرة بقايد مدنين محمد الأمين الذي كثيرا ما كان يمتعض من تصرفاته ومن تدخلاته في شؤون الإدارة وكذلك من قيام مصباح بإنشاء سجن خاص به في قصور مدنين، (SHAT, Bobine 507, C2H 314, d1. Fiche de renseignement activité des maghzen et comité de vigilance, signé le general Guillebon , 25/05/1956.) وقع فيه اعتقال عدد من المعتقلين، الذين لم يتسنّ لنا العثور على بعض أسمائهم. كما كان معتمد بني خداش محمد الرّي يتجنب الصدام أو الصراع مع مصباح الجربوع وقد كان يبدي له اللين في مطالبه. وحتى الفرنسيون كانوا بدورهم ممتعضين من مصباح حيث إنهم رأوا أنه لم يدل لهم بالمعطيات اللازمة عن مجموعته ونشاطاتها وحتى تسليحها وأن كل المعلومات التي مدّهم بها كانت معلومات منقوصة ومحدودة جدّا. (SHAT, Bobine 505, C2H 312, d1, f389. Rapport de générale Guillebon pour la période 10/03/1956—25/03/1956.)

3. المهام الموكولة للجنة:

1.3. تأمين أنشطة الحزب وبورقيبة بالجهة:

كما هو معلوم كان من أبرز مهام لجنة الرعاية بالجنوب الشرقي تأمين زيارات الزعيم الحبيب بورقيبة وأعضاء الديوان السياسي، وفي هذا الإطار يذكر عديد المقاومين حادثة إعداد منصة بورقيبة تحضيرا لزيارته المبرمجة إلى مدنين في 12 ديسمبر 1955، ففي البداية نصبت المنصة في الفرع الزيتوني، لكن بإيعاز من اليوسفي عبد العزيز الأمين قام طلبة الفرع الزيتوني بتحطيم المنصة، فنقلت إلى قبالة منزل القايد زايد العماري لكن هذه المرّة بتأمين من لجنة الرعاية وصبايحية الوجق. بعد ذلك تجمّع الأهالي أمام نادي الأمانة العامّة في طريق الجرف وتوجهوا محتجين صوب المنصّة، لكن تحوّل الاحتجاج إلى أحداث أليمة بعد أن أطلق مصباح الجربوع وعناصره النار على المحتجين وأصابت 11 مدنيًّا أعزل.(السوفي **بني خداش وجيرانها عبر الحركات النضالية** 2001، ص 195-194) وقد تناقلت الصحف الموالية للديوان السياسي هذه الحادثة شأن جريدة العمل مبيّنة أن ما حصل لم يؤثر البتّة على نجاح الاستقبال الشعبي لبورقيبة "**... فبعد محاولة تهديم المنصة في مدنين ولم يكن لها أي أثر على روعة الاجتماع وعظمة الاقتبال ...**" (جريدة العمل بتاريخ 14 ديسمبر 1955.)

بعد مدنين زار بورقيبة مدينة تطاوين يوم 13 ديسمبر 1955 ولم تخلُ هذه الزيارة التي أمّنها الجربوع بدورها من أحداث أليمة راح ضحيتها حمادي الخضيري من شعبة معقل الزعيم، الذي جاء إلى تطاوين بمناسبة التحضير لزيارة بورقيبة، فأطلق عليه النار لدى نزوله من السيارة رفقة السائق السيد العلاقي الذي أصيب في رأسه إصابة خطرة، وقد نقلت جريدة العمل الحادثة فجاء في مقالها "**... انتقلت المؤامرة إلى تطاوين فاغتالت تلك الأيدي شابا دستوريا وجرحت أخر نقل إلى المستشفى في حالة خطيرة ولعلّهم أرادوا بذلك أن تشتبك الأمور وتسقط الضحايا حتى يقولوا ألم نحذر المجاهد الأكبر من القدوم وأن في ذلك خطرا...**" (جريدة العمل بتاريخ 14 ديسمبر 1955) وقد اختتمت الجريدة مقالها بالحديث عن حملة اعتقالات قام بها العامل بعد أن وقع القبض على منفذ الجريمة.

أمّا زيارة بورقيبة الثانية إلى مدينة تطاوين في 18 جوان 1956 فقد انطلق التحضير لها بعد معركتي اقري وغار الجاني في 29 ماي و1 جوان 1956 بالجهة التي أسر فيها عدد كبير من مقاومي اليوسفية/ وقد أشرف مصباح الجربوع على آخر التحضيرات بخصوص الاستقبال الرسمي لرئيس الحكومة الحبيب بورقيبة بتكليف من القايد محمد الأمين، فقد وضع كل التشكيلات من حرس ومخزن وما تبقى من عناصر لجان الرعاية التي استقدمت من الساحل تحت إمرته. كما كان في مساعدة مصباح في هذه المهمة الساسي الأسود قائد لجنة الرعاية بجهة قابس. (جريدة العمل بتاريخ 18 جوان 1956.) وقد نجح مصباح في تأمين موكب رئيس الحكومة ووزير داخليته الطيب المهيري من المطار أين نزلت مروحيتهم إلى وسط مدينة تطاوين حيث عقدوا اجتماعا شعبيّا حضره الأهالي وقد وفّق

مصباح في تأمين الاجتماع دون أن تسجل أية أحداث شغب ولاسيّما أن الجهة لا تزال تحت وقع معركتي أقري وغار الجاني.

كان من بين أبرز المهام التي أوكلها الحزب للجان الرعاية تأمين انتخابات المجلس القومي التأسيسي التي نظّمت في 25 مارس 1956 وحماية نشاطات الحملة الانتخابية للجهة الوطنية. وهي فترة تعدّ من أصعب الفترات في منطقة الجنوب الشرقي، إذ تزامنت الانتخابات مع سلسلة من المعارك التي دارت في المنطقة بين القوات الفرنسية وجيش التحرير الوطني التونسي. نجحت لجنة الرعاية في تأمين زيارات أعضاء القائمة المرشحة عن دائرة «ورغمّة- تطاوين- مطماطة- نفزاوة» وهي المنطقة التي كانت تسمى بالتراب العسكري قبل توقيع بروتوكول الاستقلال. وقد تكونت القائمة من ستة مرشحين وهم كل من «أحمد بن صالح، عبد الرحمان بوعواجة، نصر بن جعفر، محمد الري، يوسف لبوز، نصر مرزوقي ومحمود الخياري» (شهادة المقاوم عمر البارودي بتاريخ 22 افريل 2021.)

3.2. في تتبّع ثوار اليوسفية:

عند بعث لجان الرعاية كان من أبرز النقاط التي تمّ الاتفاق عليها مع القيادة العسكرية الفرنسية أن تكون هذه اللجان إلى جانب قوات المخزن والهياكل المسلحة الأخرى قوّة دعم ومساندة للقوات الفرنسية في حربها على "العصابات اليوسفية"، وهو الأمر الذي كان ملزما على مصباح الجربوع وجماعته. لكن بالتدقيق في التقارير الفرنسية وفي عدد من الشهادات وخاصة اليوسفية منها لا يبدو لنا أن لجنة الرعاية التي تحت قيادة مصباح قد شاركت مباشرة في معارك ضدّ مقاومي اليوسفية، كما الشأن مع مجموعة الساسي الأسود أو المحجوب بن علي الذي كان يطارد بنفسه المقاوم الطيب الزلاق ورفاقه وقد نجح في القبض عليهم. ويبدو أن دور لجنة مصباح الجربوع قد اقتصر في بعض الأحيان على إرشاد الفرنسيين على مواقع الثوار كما حصل في صبيحة يوم 11 مارس 1956، إذ مرّ مصباح الجربوع من أمام ثوار جيش التحرير ويقول المقاوم منصور الشين حول هذه الحادثة " **لقد مرّ على مرمى حجر من مو اقعنا الأمامية، إلّا أنّنا أثرنا عدم قتله، وبعد عودته قدم اثنان من المخازنية فطرحا قطعة قماش بيضاء، فأشرت للقائد أن تلك علامة لإرشاد الطائرات العسكرية**". (السوفي ، **بني خداش وجيرانها عبر الحركات النضالية**، 2001 ص 206.) كما سجلت كذلك بعض الاعتقالات لعدد من ناشطي الأمانة العامّة شأن المعلم المدني بن الهاشمي في مدينة تطاوين، حيث تمّ اقتياده في الشارع أمام العامّة من قبل رجلين من لجنة الرعاية كانا يسيران بجانبه مصوّبين نحوه بندقيتهما. (موسى ، **أضواء على الحركة اليوسفية بجهة تطاوين 1956-1955**... ص 120.)

يبدو أن تحفظ مصباح ومجموعته عن المشاركة في هذه المعارك دفع بالحكومة التونسية إلى تحشيد عناصر مسلحة من منطقة الساحل للمشاركة في معارك بجهة تطاوين، وقد سخّر الجيش الفرنسي يوم 28 أفريل 1956 شاحنتين من نوع " Chevrolet" لنقل ما يقارب 50 مسلحا من لجان رعاية الساحل وقد تزعمهم حسن بن عبد العزيز الورداني. (SHAT, Bobine 507, C2H 314, d1 nf. Note de renseignement Mai 1956.) وقد تسبب

هؤلاء المستقدمون في بثّ الرعب في أهالي تطاوين الذين احتجوا على قدومهم. وقد برّرت الحكومة التونسية رفض العديد من عناصر لجان الرعاية التعاون مع الجيش الفرنسي في الجنوب وغيره من المناطق؛ بكون مهمتهم الرئيسة هي حفظ الأمن فقط، وبكونهم غير مجهزين بالسلاح الكافي والمتطوّر. (المقدم لجان الرعاية في تونس نشأتها ونشاطها **1956**-1955، ص- ص 99-98)

بعد استجلاب مجموعات أخرى من عناصر لجان الرعاية احتج الأهالي من جديد فشكلوا وفدا في بداية شهر جوان 1956 ضمّ عددا من رموز النضال ضدّ الاستعمار في بني خداش ومدنين وتطاوين، واجتمع هذا الوفد برئيس الحكومة الحبيب بورقيبة وشكوا له جور لجان الرعاية ثمّ عقّب المناضل المبروك المشلوش قائلا " **سي الحبيب ما رأيناه من ظلم وإهانة وذلك طيلة 75 سنة استعمار لا يقارن بما فعلته بنا هذه اللجان التي بعثتها إلينا** ". فاستشاط الحبيب بورقيبة غضبا وأمر بسجنه لولا تدخل الطيب المهيري الذي ذكّر بمواقف هذا المقاوم الوطني وسلامة قصده فوعد رئيس الحكومة بحلّ هذه اللجان بالجهة. (العوني، قصر مدنين الحضن الدافئ لورغمّة البناة والبنون، 2014. ص 467.)

ومن خلال ما تحيلنا عليه بعض الشهادات من الشق اليوسفي، يبدو لنا أن مصباح الجربوع قد تجنّب إلحاق الأذى برفاق الأمس من اليوسفيين، فيقول المقاوم سعيد فرشينة الذي كان قد وضع سلاحه في جوان 1956 "**... عندما سمع مصباح بعودتي إلى مدنين أرسل في طلبي لكن كنت مريضا فلم أقدر على الذهاب إليه ... فبلغه الأمر وكنت أتوقّع أن يرسل لي بعض أعوانه لكن لم يفعل بل بعد بضعة أيام بلغني من أحد أقاربي انه يسأل عني ويطمئن عن حالتي الصحية وهل أنا في حاجة إلى المساعدة أم لا..**" (شهادة المقاوم سعيد فرشينة بتاريخ 17جويلية 2017). وفي ذات السياق يقول المقاوم المبروك بوذينة الذي كان قد سلّم سلاحه في تلابت في جوان 1956 "**... لمّا جاء بورقيبة إلى تطاوين في جوان 1956 أردت أنا ومجموعة من الذين سلموا سلاحهم مقابلة بورقيبة والحديث معه حتى لا يقع تتبعنا... كان مصباح الجربوع متواجدا وكان مرّة يعتلي المنصة ومرّة ينزل منها وقد أسرّ له أحد أتباعه بنو ايانا وعزمنا فقال له لقد حدثنا بورقيبة عنهم وسيحادثونه بعد قليل ... عليهم أن يعتذروا منه فقد ذكرناه بما قدموه لتونس في الثورة المسلحة ...**" (شهادة المقاوم المبروك بوذينة بتاريخ 5 سبتمبر 2014) وبالفعل فقد عفا بورقيبة في هذا الاجتماع عن 160 مقاوما يوسفيا أغلبهم ممن تمّ القبض عليهم في معركتي أقري وغار الجاني. (جريدة العمل بتاريخ 19 جوان 1956).

4. تجاوزات لجان الرعاية تدفع بها إلى الحل :

1.4. شكاوى الأهالي :

منذ أن بدأت اللجان في النشاط في المنطقة لم يكف الأهالي عن إرسال الوفود وتقديم الشكاوى إلى الباي، وكانت البداية بعد حادثة منصبة مدنين، حيث تشكّل وفد متكوّن من وجهاء المنطقة وكان من بينهم رئيس

المنظمة السريّة للمقاومة محمد بن ضو البوبكري، واحتجوا على هذه اللجان لدى الشاذلي باي يوم 11 ديسمبر 1955(جريدة الصباح بتاريخ 13 ديسمبر 1955). وقد تطرقت هذه الشكوى إلى تفاصيل هذه الحادثة "... **وعوض أن يتفادوا الخطيئة تعمدوا الوقوع فيها فهاجوا وماجوا... فاستباحوا القانون وركبوا رؤوسهم وصاروا يعتقدون أن كل شي مباح لهم ما داموا ينتسبون إلى شقّ معروف... فتقلّد مصباح الجربوع رشاشة حربية وبجانبه الحاج محمد الصويلح يشهر سلاحه وعزّز جانبهما بعض صبايحية الوجق وصوبوا نيران أسلحتهم صوب من وجد من الأهالي هناك وهم عزل إلّا من الإيمان ... وإذا كان الاستعداد لبناء منصة بلغ هذا الحدّ من التحدي والتقتيل فإن العدّة لحماية الاجتماع ستكون نصب المشانق ...**"

والأمر نفسه كان مع أهالي غمراسن عند زيارة بورقيبة إلى تطاوين حيث رفعوا شكوى بدورهم إلى الباي جاء فيها "... **إن شعبكم يا صاحب الجلالة يجرى عليه التفتيش في الطرقات العامّة وداخل المنازل حيث يروّع النساء والأطفال وتتلف المتاع. وبالجملة فإن حالة الجنوب الآن تحاكي حالته فيما قبل 1875 أيام كانت القبائل يسطو بعضها على بعض، غير أن الفرق بين الحالتين أنّ الحكومة في هذا الوقت تحمي أحد الشقين على الآخر؛ نتيجة تأييد مذهب سياسي، ولأن بعض أعضائها هم من هذا الشق، وأن هذه الحكومة التي أصبحت من العجز بحيث لم تعد قادرة على مسك أعصابها لجديرة بالإقالة...**" (موسى، أضواء على الحركة اليوسفية بجهة تطاوين 1955-1956... ص 427).

وفي منتصف سنة 1956 اتجه وفد آخر من الجنوب نحو الحاضرة ضمّ عددًا من رموز النضال ضدّ الاستعمار في بني خداش ومدنين واجتمع هذا الوفد برئيس الحكومة الحبيب بورقيبة وشكوا له "جور" لجان الرعاية ثمّ عقّب المناضل المبروك المشلوش قائلا " **سي الحبيب ما رأيناه من ظلم وإهانة وذلك طيلة 75 سنة استعمار لا يقارن بما فعلته بنا هذه اللجان التي بعثتها إلينا**". فاستشاط الزعيم الحبيب بورقيبة غضبا وأمر بسجنه لولا تدخل الطيب المهيري الذي ذكر بمواقف هذا المقاوم الوطني وسلامة قصده فوعد رئيس الحكومة بحلّ هذه اللجان بمدنين. (العوني، قصر مدنين الحضن الدافئ لورغّمة البناة والبنون، 2014. ص 467).

الصورة عدد (1) : وفد أعيان وشيوخ ورغمّة الذي قابل الشاذلي باي يوم 11 ديسمبر 1955.

المصدر : الأرشيف الخاص بالمقاوم محمد بن ضو البوبكري.

4.2.حل اللجان:

اعترفت الحكومة التونسية في خطوة مفاجأة بانتهاكات لجان الرعايا وتجاوزاتها كما جاء على لسان رئيس الحكومة الحبيب بورقيبة في نداء إذاعي له مساء يوم 25 ماي 1956 ، إذ قال"... **لقد كوّنا في المدّة الأخيرة لجان رعاية مختارين من بين أناس مخلصين للدولة بل وربّما وصفت وظيفتهم بالمتطوعين للمحافظة على الأمن وردع المفسدين. لكن تصدر منهم في بعض الأحيان هفوات وغلطات تضرّ بالأمن في الوقت الذي كانوا يقصدون خدمة الأمن ...**". (جريدة العمل بتاريخ 26 جانفي 1956) فإذا كان هذا اعترافا من المسؤول عن هذه اللجان فلا مناص من تصديق الروايات "الشنيعة " لضحاياها.

ثمّ أعلنت الحكومة التونسية عن حلّ مجالس التيقظ أي لجان الرعاية بتاريخ 10 جويلية 1956 بنص قانوني يبطل مرسوم 31 مارس 1956 الذي أحدثها (الرائد الرسمي التونسي بتاريخ 10 جويلية 1956. ص 1295). وبهذا حلّت لجنة الرعاية التي كوّنها مصباح الجربوع، ثمّ وقع النظر في وضعية عناصر اللجنة فألحق عدد منهم بالحرس الوطني المتجوّل حديث التأسيس شأن المبروك الجربوع شقيق مصباح وعمار الجامعي، فيما ألحق بعضهم بالجيش الوطني التونسي وتوزع عدد آخر على وظائف حكومية أخرى كان أبرزها وظيفة "الحاجب".

لكن الملاحظ أن مصباح حافظَ بعد ذلك على حظوة من قبل السلطة الوطنية وحتى الجهويّة دون أن يشغل منصبا سياسيا أو أمنيا بعينه. فقد ظلّ يتمتع بامتيازاته السابقة كالسيارة والسائق وظلّت تدخلاته وقراراته تأخذ بعين الاعتبار من قبل الجميع. كما شارك في حصار المقاومين الجزائرين بقيادة الطالب العربي القمودي في موقعة الحشانة الشهيرة يوم 20 جوان 1956.(شبّاح،**"الطالب العربي القمودي ودوره في قيادة الجيش الجزائري بالجنوب التونسي (1954-1957)"**، 2014. ص 75).

حيث ذكر أن جيش الطالب الذي كان ينوي التوجّه إلى أرض طرابلس مرورا بجبال بني خداش تفطنت له السلطات التونسية في منطقة الحشانة وقامت بحصار الجيش المنهك من أعباء الطريق، وقد حدث تبادل لإطلاق النار في البداية راح ضحيته المبروك الجربوع شقيق مصباح. وقد التحق هذا الأخير بمكان المعركة قبيل تسليم الطالب العربي وجماعته لأنفسهم. ويروي المقاوم الجزائري العربي بلول أنه أثناء تقدمهم نحو قوات الحرس التونسي رأى رجلا تونسيا بالزي المدني دون سلاح ويحمل الرايتين الجزائرية والتونسية فتقدمت منهم سيارة عسكرية نزل منها جنود طلبوا منهم تسليم أسلحتهم، ثمّ نزل القائد مصباح الجربوع الذي كانت له معرفة قديمة بالطالب العربي وقال بصوت عالي **"أتأسف يا الطالب العربي ليس هذا المكان الذي نلتقي فيه"** وركب مع الطالب العربي في السيارة. (بلول، شاهد على ثورة التحرير 1956-1962، ص 42).

خاتمة:

يمكن لنا في نهاية رحلة بحثنا أن نتبين السياق التاريخي الذي بعثت فيه لجان الرعاية والدور الذي لعبته في تأجيج الصراع اليوسفي البورقيبي، فقد كانوا على ما يبدو سببا مباشرا في إجبار المعارضة اليوسفية على رفع السلاح من أجل معركة الاستقلال التام ضدّ الجيش الفرنسي ومن أجل الدفاع عن أنفسهم من تجاوزات هذه اللجان.

لم تتوقف لجان الرعاية عند الصلاحيات والأهداف التي رسمت لها في قانون إحداثها، بل أنها تجاوزت ذلك بكثير وأحدثت اضطرابات كثيرة دفعت بالأهالي في عديد الجهات إلى التظلّم والتشكي للبلاط الحسيني. وأحدثت بذلك أرضية ملائمة للحكومة حتى تراجع حصيلة أعمالها وتدفع بها إلى الحل وتدمج أعوانها في الأسلاك الأمنية الفتية في ذلك الوقت.

وعلى مستوى جهة ورغمة نجحت لجنة الرعاية بصفة واضحة في ترجيح كفّة الصراع لصالح الديوان السياسي

دون أن تتورط في جرائم بشعة كالتي ارتكبت من قبل لجان رعاية أخرى في شمال البلاد خاصة ودون الدخول في معارك مباشرة مع جيش التحرير الوطني التونسي الذراع العسكري لليوسفيين، ويبدو أن لخصوصية الجهة دورًا كبيرًا في ذلك؛ إذ كانت الروابط القبلية إلى ذلك الحين قويّة وتعلو فوق أي خلاف قد يحدث والتي قد تنجح كثيرا في حقن دماء الأهالي وتخفف من حدّة الصراع والتوتّر، كما يضاف إلى ذلك الماضي النضالي القريب الذي كان يجمع عناصر لجنة الرعاية بزعماء اليوسفية في أرض ورغمة زمن ثورة 18 جانفي 1952.

لقد ولدت تجربة لجان الرعاية في خضم صراع عنيف شهدته تونس تزامنَ مع مخاض الاستقلال، فحملت منذ ذلك الزمن في ذاكرة التونسيين آثارًا سلبية وضلت توصف أعمالها بالصفحات السوداء في تاريخ تونس المعاصر التي أحدثت شرخا في السلم المجتمعي التونسي وخلفت وراءها ضحايا عدّة يأبون النسيان، هذه الذاكرة الشعبية الغاضبة كانت تدفع من حين إلى آخر بعناصر هذه اللجان وزعمائها إلى تقديم اعتذاراتهم للشعب التونسي شأن القائد عمر شاشية.

1. المصادر:

أرصدة الأرشيف الوطني :

- السلسلة (F) صندوق 1. ملف 1. الملف الفرعي 35 . وثيقة 177.

- الرائد الرسمي بتاريخ 27 أفريل 1956/ 10 جويلية 1956.

أرصدة معهد تاريخ تونس المعاصر:

- SHAT, Bobine 505, C2H 312, d1, f387. Rapport de générale Guillebon pour la période 10/03/1956—25/03/1956.

- SHAT, Bobine 507, C2H 314, d1. Fiche de renseignement activité des maghzen et comité de vigilance, signé le générale Guillebon , 25/05/1956.

- SHAT, Bobine 507, C2H 314, d1 nf. Note de renseignement Mai 1956.

أرصدة الأرشيف الدبلوماسي بفرنسا:

- CADN . 46 TU 900/920 N 60/CF du 23/02/1956.

2. المراجع:

- العربي بلول، **شاهد على ثورة التحرير 1956-1962 (المجاهد العربي بلول)**، دار الثقافة محمد الأمين العمودي، الطبعة الثانية، الوادي، الجزائر.

- عروسية التركي (2011)، **الحركة اليوسفية في تونس 1955- 1956**، مكتبة علاء الدين، صفاقس .

- عمار السوفي (2011)، **بني خداش وجيرانها عبر الحركات النضالية (من الحركة التمردية إلى المقاومة اليوسفية)**،

صلامبو، مطبعة الياسمينة الطبعة الأولى .

- عميرة علية الصغير (2007)، **اليوسفيون وتحرّر المغرب العربي**، المغاربية للطباعة والإشهار، الطبعة الأولى تونس.

- محمد العيادي العوني (2014)، **قصر مدنين الحضن الدافئ لورغمّة البناة والبنون**، المغاربية للطباعة والنشر، تونس .

- الضاوي موسى (2018)، **أضواء على الحركة اليوسفية بجهة تطاوين 1956-1955**، مطبعة التسفير الفنين صفاقس ..

- Noura Borsali (2008),**Bourguiba à l'épreuve de la démocratie 1956-1963**, Samed Editions Sfax,.

3. الدراسات الجامعية:

- فيصل المقدم (2010)، **لجان الرعاية في تونس نشأتها ونشاطها 1956-1955**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس.

- نبوية شبّاح (2014)، **"الطالب العربي القمّودي ودوره في قيادة الجيش الجزائري بالجنوب التونسي (1954-1957)"**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص مغرب عربي حديث ومعاصر، جامعة الوادي. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية .

4. المقالات الصحفية:

- جريدة العمل بتاريخ 14 ديسمبر 1955/ 26 جانفي 1956/ 22 فيفري 1956/ 3 مارس 1956/ 26 ماي 1956 / 18 جوان 1956/19 جوان 1956.

- جريدة الصباح بتاريخ 5 نوفمبر 1955/ 13 ديسمبر 1955.

- جريدة البلاغ بتاريخ 6 نوفمبر 1955.

- Le Monde le 22 juin 1957.

5. الشهادات الشفوية:

- شهادة القائد الساسي الأسود المسجلة بالمعهد الأعلى لتاريخ تونس المعاصر.

- شهادة المقاوم سعيد فرشينة بتاريخ 17 جويلية 2017.

- شهادة المقاوم المبروك بوذينة بتاريخ 5 سبتمبر 2014.

- شهادة المقاوم عمر البارودي بتاريخ 22 افريل 2022.